ملف العدد

الصين وحرب غزة مابين الخطاب الداعم والدور المطلوب

إيمان عمر الفاروق
رئيس قسم الشئون الخارجية -مجلة «الأهرام العربي»

الملخص:
عقب انطلاق عملية «طوفان الأقصى» وبالتحديد يوم 13 من أكتوبر 2023، ورغم تصريحات بكين المتكررة المؤيدة للحقوق الفلسطينية والمؤكدة لثوابت التوصل إلى حل الدولتين، وإقامة دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس الشرقية، وجهودها المتواصلة مع القوي الإقليمية، الا أن الصين تتخذ موقفا بانها لا ترغب في استثمار تلك الأدوات في المرحلة الحالية، وتفضل أن تكون لها دور من جهد متعدد الأطراف.

حيث يؤثر في مسار تطور الموقف الصيني عدة عوامل منها: المخاوف من احتمالية اتساع نطاق المواجهة في قطاع غزة لتصبح حربا إقليمية تدخل فيها أطراف جديدة للصراع أبرزها حلفاء إيران، مما قد إلى جولة جديدة من الحرب والفوضى في الشرق الأوسط، فضلا عن تفاقم أزمة إمدادات الطاقة بالنسبة للاقتصاد العالمي، الأمر الذي سيضر الصين، حيث تتعامل بكين مع الملف انطلاقاً من أولوياتها السياسية، وبالأخص، خططها الاستراتيجية في إطار مبادرة «الحزام والطريق»، وتأمل أن تجد دعما في ملفات سياسية مثل «تايوان» فضلا عن إلهاء الولايات المتحدة بعيدا عن المسرح الشرق آسيوي لتأكيد هيمنتها على منطقة المحيطين الهندي والهادي.

Abstract:

Following the launch of Operation Tuvan al-Aqsa on October 13, 2023, and despite Beijing›s repeated statements in support of Palestinian rights and affirmation of the parameters for a Two-State solution, the establishment of an independent Palestinian State with East Jerusalem as its capital, and its continued efforts with regional power, China is not willing to invest those tools at the current stage, and prefers to be part of a multilateral effort.

The development of China›s position is influenced by several factors, including: Fears that confrontation in the Gaza Strip could expand into a regional war involving new parties to the conflict, most notably Iran›s allies, which could lead to a new round of war and chaos in the Middle East, as well as worsening the energy supply crisis for the global economy, which would hurt China, where Beijing was dealing with the dossier from its political priorities and, in particular, its strategic plans under the Initiative «Belt and Road», and hopes to find support in political files such as «Taiwan», as well as the distraction of the United States from the East Asian stage to assert its dominance of the Indo-Pacific region.

مقدمة :

عقب انطلاق عملية "طوفان الأقصى" وبالتحديد يوم 13 من أكتوبر 2023، صرح وزير الخارجية الصيني" وانغ يي" بأن السبب الجوهري الذي فجر شرارة الحرب هو "الظلم التاريخي" الذي يتعرض له الفلسطينيون والتأخير الطويل في تحقيق تطلعاتهم بإقامة دولة مستقلة، وذلك خلال لقائه مسئول السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي" جوزيب بوريل" في بكين، ولهذا حرصت بكين علي تسليط الضوء علي المظالم التي تعرض لها الشعب الفلسطيني تاريخيا.

ورغم قتل وإصابة وفقدان أكثر من عشرة مواطنين صينيين خلال الأيام الأولي للحرب في غزة، فإن الحرب لم تولد قدراً كبيراً من ردود الفعل الشعبية في الصين، وفي الواقع، يكشف التحليل الدقيق لتصريحات وأنشطة بكين الرسمية، والتعليقات في وسائل الإعلام الحكومية، والتفاعل عبر وسائل التواصل الاجتماعي حول الحرب ضد غزة، أنه بينما تسعى الصين إلى جعل نفسها على أنها مؤيدة للسلام والإشارة إلى اصطفافها مع العديد من المنظمات غير الحكومية، ومناصرة القضية الفلسطينية، فإنها تظل مترددة في القيام بدور جوهري في الصراع الدائر بالشرق الأوسط.

بينما كان التصريح الأبرز هو انتقاد وزير الخارجية الصيني وانغ يي إسرائيل علناً للمرة الأولى في 14 من أكتوبر 2023، مؤكداً أن إسرائيل تتصرف خارج "نطاق الدفاع عن النفس"، وينبغي لها أن توقف العقاب الجماعي للمدنيين في غزة، وفي أروقة المحافل الدولية، اصطفت بكين إلى جانب الدول الداعمة للحق الفلسطيني حيث أجهضت بالتعاون مع موسكو في 25 أكتوبر 2023، باستخدامها حق النقض "الفيتو"، مشروع قرار أمريكي في مجلس الأمن يدين حماس.

أولاً: ملامح وأبعاد الموقف الصيني

اتسمت المواقف والتصريحات الرسمية الصينية بقدر من "تصعيد اللهجة" حيال السلوك الإسرائيلي، فانتقدت بكين القصف الإسرائيلي الشامل للمدنيين، وأدانت انتهاكات القانون الدولي، وطالبت بتنفيذ حل الدولتين والدعوة إلى إنشاء ممر إنساني للسماح بدخول المساعدات إلى قطاع غزة المحاصر. وتزامنت حرب غزة وتصاعد العدوان الإسرائيلي مع تولي الصين رئاسة مجلس الأمن الدولي خلال شهر نوفمبر 2023 خلفا للبرازيل.

لقد ركزت التصريحات الصينية الرسمية بشأن حرب غزة على الإعراب عن قلق واسع

النطاق بشأن تصعيد الصراع وعواقبه الإنسانية، والمخاوف من اتساع دائرته بما قد يفضي إلي حرب إقليمية واسعة النطاق. وشددت على أن التسوية السياسية وحل الدولتين هما وحدهما اللذان يمكنهما حل الصراع بين إسرائيل وفلسطين في نهاية المطاف.

وعلق الرئيس الصيني شي جين بينغ علناً للمرة الأولى على الحرب بعد نحو أسبوعين من عملية "طوفان الأقصى" على هامش منتدى الحزام والطريق. وقد تم التأكيد مرة أخرى على تصريحاته بأن حل الدولتين وإقامة دولة فلسطين المستقلة هما "السبيل الوحيد القابل للتطبيق" لحل هذا الصراع الطويل الأمد في خطابه في قمة "البريكس" غير العادية حول الحرب في الشهر التالي.

في الأسابيع الأولى من الحرب تحدث وزير الخارجية وانغ يى مع نظرائه في الحكومة الإسرائيلية والسلطة الفلسطينية، بالإضافة إلى المملكة العربية السعودية وإيران وتركيا وروسيا والولايات المتحدة. وتوفر المقارنة بين القراءات الصينية الرسمية لهذه الاجتماعات نافذة على كيفية سعي بكين إلى وضع نفسها علناً وسط الأزمة. وعلى سبيل المثال، يتبنى ملخص مكالمة وانغ مع وزير خارجية السلطة الفلسطينية رياض المالكي لهجة أكثر دفئًا إلى حد كبير، بدءًا من "شكر المالكي الخالص للصين" على "وقوفها بحزم مع الشعب الفلسطيني"، وملخصًا لموقف السلطة الفلسطينية".

وعلى الجانب الآخر، تشير قراءة مكالمة وانغ مع وزير الخارجية الإسرائيلي إيلي كوهين إلى تأكيد وانغ لنظيره الإسرائيلي على ضرورة "مراعاة القانون الإنساني وحماية المدنيين". ويشير وانغ إلى أنه "فقط من خلال الالتزام بالأمن المشترك يمكن تحقيق الأمن المستدام" وهو الموضوع الأساسي لـ" مبادرة الأمن العالمي" التي أطلقتها بكين.

ويكشف موقف الصين في استخدام حق النقض "الفيتو" في مجلس الأمن ضد مشاريع قرارات أمريكية بشأن الحرب على غزة عن حرص الصين علي التمسك بنهجها بعدم الانحياز وثوابت القضية الفلسطينية وفي ذات الوقت تكريس التباين مع الموقف الأمريكي.

اتخذت الصين خطوات لجذب الانتباه إلى هذا الانقسام، على سبيل المثال صرح السفير الصيني لدى الاتحاد الأوروبي فو كونغ أن "هناك العديد من الدول التي من الواضح أنها لا تتفق مع أوروبا من حيث القيم الإنسانية، يمكننا أن نعرف ذلك بوضوح عبر الاختلاف للاستجابات لأزمة غزة المستمرة".

وفي المقابل، صوتت الصين لصالح قرارين تم طرحهما في مجلس الأمن الدولي الذي

أخفق في إصدارهما؛ بسبب استخدام الولايات المتحدة الأمريكية لحق النقض، أحدهما تقدمت به روسيا في 16 من أكتوبر 2023 ويدعو إلى وقف إطلاق النار بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، وحماية المدنيين ومنع استهدافهم، والسماح بدخول المساعدات الإنسانية إلى قطاع غزة، أما القرار الثاني فتقدمت به البرازيل في 18 من أكتوبر 2023, وتبني الدعوة إلى هدنة إنسانية والسماح بدخول المساعدات الإنسانية إلى غزة.

كذلك أبدت الصين استعدادها للوساطة بين إسرائيل وحماس، واجتمع مبعوث الصين الخاص إلى الشرق الأوسط " تشاي جون" بعدة أطراف خلال أكتوبر 2023 لوضع حد للحرب، وترأس وزير الخارجية جلسة مجلس الأمن حول غزة، في 29 نوفمبر 2023، وطالب خلالها بتحويل الهدنة المؤقتة لوقف دائم لإطلاق النار، مؤكدا رفض بلاده التهجير القسري لسكان غزة.

وفي إطار العمل على الصعيد الدبلوماسي دعت وزارة الخارجية الصينية مؤخرا، إلي عقد مؤتمر دولي للسلام لحل القضية الفلسطينية في أقرب وقت ممكن وكانت وزارة الخارجية الصينية قد شددت في وقت سابق على أن الأولوية القصوى هي وقف إطلاق النار وضمان أمن منشآت "الأمم المتحدة" ومنع كارثة إنسانية واسعة بغزة. ولم تكن المرة الأولي التي تدعو فيها الصين إلى عقد مؤتمر دولي للسلام. إلا أن دعواتها السابقة لم تأخذ حيز التنفيذ ولم تلق الاستجابة المطلوبة من جانب الاحتلال والأطراف الدولية الرئيسية. واقتصر الترحيب على الجانب الفلسطيني الذي يري في الصين طرفاً دولياً مهماً مازال يدعو للتمسك بحل الدولتين الذي تتبناه "منظمة التحرير الفلسطينية".

كما قامت بكين نهاية إبريل 2024، برعاية حوار ومحادثات للمصالحة الفلسطينية بين حركتي حماس وفتح، وعبرا عن تقديرهما البالغ لدعم الصين للشعب الفلسطيني.

ورغم سعي الصين باتجاه توسيع بصمتها الدبلوماسية في الشرق الأوسط وأبرزها المساعدة في التوسط في التوصل إلى اتفاق بين المملكة العربية السعودية وإيران لاستعادة العلاقات في مارس 2023، فإنها لم تسع إلى الاضطلاع بدور قيادي في الصراع الدائر في غزة. وفي أواخر نوفمبر 2023 أصدرت بكين ورقة موقف من خمس نقاط تدعو فيها إلى وقف فوري لإطلاق النار، وحماية المدنيين، وزيادة المساعدات الإنسانية.

وتدعو الوثيقة أيضًا "الدول ذات النفوذ والتأثير على الأطراف" إلى المساعدة في تهدئة الأزمة وعقد مؤتمر دولي للسلام لصياغة "جدول زمني ملموس وخريطة طريق" لتنفيذ

حل الدولتين و"حل عادل ودائم لمسألة السلام". وتدعو الوثيقة صراحة "مجلس الأمن "الدولي أو هيئة "الأمم المتحدة "إلى أخذ زمام المبادرة في تعزيز كل نقطة من النقاط الخمس، وأعرب وزير الخارجية الصيني عن دعم الصين لمؤتمر دولي للسلام "على نطاق أوسع"، مشيراً إلى أن تفاصيل المؤتمر "ستحددها جميع الأطراف"، داعياً الدول ذات النفوذ بالمنطقة أن تلعب "دورا نشطا" في هذه العملية، الأمر الذي يشير إلى تجنبها القيام بدور قيادي في المنطقة.

أما عن المعالجة في وسائل الإعلام الصينية، فقد مالت إلى تسليط الضوء على موقف واشنطن من الحرب بوصفها المحرك لعدم الاستقرار في الشرق الأوسط. ويشير العديد من هذه المقالات إلى "سلوك الهيمنة" الذي تنتهجه الولايات المتحدة، وتاريخها في التدخلات العسكرية في الشرق الأوسط، ودعمها "المتحيز" لإسرائيل. فعلى سبيل المثال، أشارت إحدى الافتتاحيات في صحيفة "جلوبال تايمز" إلى أن عجز الولايات المتحدة وأوروبا عن "الحفاظ على النظام العالمي القائم" و"تهميش القضية الفلسطينية" هما العاملان الدافعان للصراع الحالي، ويلقي آخر اللوم على الولايات المتحدة وبعض شركائها الغربيين في "صب الوقود على النار" و"السعي إلى الأمن المطلق" لأنفسهم "تحت ستار السلام".

وقد مثلت حرب غزة نقطة تحول جوهرية في موقف الرأي العام الصيني حيال القضية الفلسطينية، حيث شهدت تدفق للاهتمام من جانب الشعب الصيني، على نحو غير مسبوق خلال السنوات العشرين الماضية. يكفي أن نلقي نظرة على نتائج أحد أهم استطلاعات الرأي العام قبل اندلاع الحرب بحوالي عام لنرصد التباين اللافت. فبحسب استطلاع للرأي العام أجراه مركز "الأمن الدولي والاستراتيجية" بجامعة تسينغهوا في نوفمبر 2022، أعرب 3.3% فقط من الصينيين عن اعتقادهم بأن السلام في الشرق الأوسط يجب أن يكون الأولوية الدولية القصوى للصين. وفي الواقع، كانت هذه القضية هي الأدنى مرتبة في الاستطلاع، متخلفة كثيرًا عن موضوعات أخرى مثل الأوبئة والنزاعات الإقليمية والعلاقات بين الولايات المتحدة والصين.

أما اليوم وطبقا لموقع مجلةTHE DIPLOMAT يهتم العديد من مستخدمي الإنترنت الصينيين بالحرب ضد غزة جزئيا بسبب فضولهم تجاه إسرائيل، والدول العربية والشرق الأوسط، وتعد قراءة الأخبار حول التطورات الراهنة نافذة لهم لفهم أعمق لجزء رئيسي من العالم، خاصة أن أغلبهم لا يتقن اللغات الأجنبية، ويبحث الشعب الصيني أيضا بكثافة

عن معلومات حول اليهود والحرب العالمية الثانية، ويبدو الأمر كما لو كان قسما كبيرا من مستخدمي الإنترنت في الصين يأخذون دورة مكثفة في تاريخ وجذور الصراع.

يعد موقع ويبو Weibo الصيني، والذي يعتبر نسخة مشابهة لتطبيق تويتر سابقا X حاليا، أحد المقاييس الهامة للرأي العام الصيني. وبعد أسابيع قليلة من اندلاع الحرب كان هناك 12 موضوعًا أو "هاشتاج" شائعًا يتعلق بالحرب على غزة، تفاعل معها ما لا يقل عن 250 مليون شخص. ومن المثير للاهتمام أن معظم المواضيع الشائعة ركزت على إسرائيل، وانتشرت مقاطع الفيديو والصور الخاصة بالهجمات والفظائع التي ارتكبتها إسرائيل. فيما يؤشر لاهتمام متنامي من قبل شعب الصين بالقضية الفلسطينية.

ثانياً: خلفيات الموقف الصيني تجاه القضية الفلسطينية

إن الدعم الخطابي للقضية الفلسطينية والتفاعل الدبلوماسي يمثلان التزاما تاريخيا لدي بكين، فيما اعتبره العديد من المراقبين استثناء من سياسات العملاق الآسيوي القائمة على مبدأ "الحياد"؛ فلطالما حافظت الصين على سياسة خارجية "متوازنة" في الشرق الأوسط، إذ تناي بنفسها دوما عن الصراعات الحادة في المنطقة. وتستبدل ذلك بمواقف تدعو لخفض التوترات وتجسير الهوة بين الفرقاء. فلطالما نادت بتطبيق حل الدولتين وإقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة كاملة على حدود عام 1967 وعاصمتها القدس الشرقية. ودعت إلى ضرورة تنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي تطالب بانسحاب الاحتلال من الأراضي الفلسطينية دون شرط. ووصفت الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية والقدس الشرقية بأنه "انتهاك للقانون الدوليللّه.

فيما شكّل تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في سنة 1964 بداية لعلاقة مباشرة بين الصين والفلسطينيين؛ حيث سارعت بكين للاعتراف بها وقام أحمد الشقيري، مؤسسها وأول رئيس لها، بزيارة بكين في سنة 1965، وكانت الصين من أوائل الدول التي اعترفت بفلسطين دولة ذات سيادة عام 1988.

كذلك لا يمكن إغفال أن الصين كانت قد عينت لأول مرة منذ العام 2002 مبعوثاً خاصاً للسلام في الشرق الأوسط، على شاكلة ما فعلته دول أخرى، حيث تم إسناد مهام محددة يضطلع بها، تشمل الوساطة بين الطرفين وحثهما على العودة إلى طاولة المفاوضات في أقرب وقت ممكن.

وفي خطوة دبلوماسية ملموسة، قدمت الصين مقترحاً من أربع نقاط لتسوية القضية الفلسطينية في العام 2013. وجوهر هذه المقترحات وأولها يتمثل في إقامة دولة فلسطينية

مستقلة وكاملة السيادة على حدود العام 1967 وعاصمتها القدس الشرقية، باعتبار ذلك حقاً ثابتاً للشعب الفلسطيني، وأساس تسوية القضية الفلسطينية.

وثاني نقاط المقترح الصيني يتعلق بسبل تحقيق السلام بين الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني، حيث أن الصين ترى أن المفاوضات هي الطريق الوحيد لهذا السلام المبتغى. والمسئولية هنا تقع على عاتق الطرفين انطلاقاً من الرغبة المتبادلة في التفاهم. وفي هذا السياق، اعتبرت الصين أن هناك أولوية لوقف العنف ورفع الحصار، ومعالجة قضية السجناء الفلسطينيين، إضافة إلى وقف الاستيطان بما يمهد لتوفير الظروف اللازمة كي تستأنف المفاوضات، وأضافت الصين إلى كل ذلك ضرورة المصالحة الفلسطينية باعتبارها من عوامل المساعدة في استئناف محادثات السلام والدفع بها قدماً.

أما البند الثالث في مقترح النقاط الأربع فيذهب إلى أهمية قرارات الأمم المتحدة المرتبطة بالصراع، ومبادرة السلام العربية، ومبدأ الأرض مقابل السلام.

ويختتم المقترح بالبند الرابع الذي يركز على الدور الدولي المنوط به توفير الضمانات الضرورية حتى يكون هناك تقدم في المفاوضات، خاصة في ظل الوضع شديد الإلحاح على الأرض، على أن تكون هناك موضوعية وعدالة وبذل ما يلزم من جهود. وإلى جانب كل ذلك أهمية زيادة المساعدات للفلسطينيين في إطار عملية التنمية الاقتصادية. وأعقب هذا المقترح موجة من الزيارات الإقليمية قام بها المبعوثون الصينيون.

ورغم أهمية التفاعل الدبلوماسي والدعم الخطابي السابق، إلا أنه يظل عام 2017 يمثل نقطة تحول بارزة في مواقف بكين الداعمة للقضية الفلسطينية. فعقب إعلان الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب القدس عاصمة لدولة الاحتلال، تبنت بكين موقفا حازما معارضا لهذا القرار بقوة.

ثالثاً: محددات وأهداف الموقف الصيني تجاه حرب غزة

يؤثر في مسار تطور الموقف الصيني تجاه حرب غزة عدة عوامل يمكن إيجازها فيما يلي:

1- مخاوف من اتساع نطاق الحرب:

احتمالية اتساع نطاق المواجهة في قطاع غزة لتصبح حربا إقليمية تدخل فيها أطراف جديدة للصراع أبرزها حلفاء إيران. مما سيضفي على الصراع أبعادا جديدة تتجاوز المواجهة في القطاع، ويدخلها لحسابات جيو- سياسية جديدة تعمق حالة الاستقطاب الدولي حيال

المواجهة الحالية، ويمكن أن يؤدي إلى جولة جديدة من الحرب والفوضى في الشرق الأوسط.

وتبدي قلق بكين البالغ من هاجس اتساع رقعة الحرب إقليميا عبر سلسلة من المحادثات الهاتفية كان أبرزها تلك التي دارت بين وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان في 15 أكتوبر 2023، ووزير خارجية الصين الذي شدد على الحاجة الملحة لتهدئة التوترات ومنع وقوع كارثة إنسانية في قطاع غزة قبل أن تعرض عملية السلام في الشرق الأوسط للخطر بشكل أكبر، فضلا عن أنه إذا اندلعت الحرب في الشرق الأوسط، فسوف يؤدي ذلك إلى تفاقم أزمة إمدادات الطاقة بالنسبة للاقتصاد العالمي، الأمر الذي سيضر الصين. ومن الممكن أيضًا أن يؤدي ذلك إلى زيادة التناقضات والعداوات في حرب أوكرانيا.

كما تبادل وزير الخارجية الصيني وانغ يي ووزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن الاتصالات الهاتفية لأول مرة في 14 أكتوبر 2023 منذ بداية عملية "طوفان الأقصى"، وأعرب وانغ عن أن الصراع يتصاعد باستمرار ويواجه خطر فقدان السيطرة، وأن الخيارات العسكرية لا تؤدي إلى أي حلول، وأن رد العنف بالعنف لا يؤدي إلا إلى خلق حلقات مفرغة.

2-أصداء إيجابية لدي دول "الجنوب العالمي":

تعتقد بكين أن الوقوف إلى جانب الفلسطينيين يلقي صدي في البلدان العربية، والبلدان ذات الأغلبية المسلمة، وفي أجزاء كبيرة من بلدان ما يعرف "بالجنوب العالمي"، في آسيا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا، التي تشهد تنامياً لرفض الجرائم الإسرائيلية الوحشية. وتقترح الصين رؤية لنظام عالمي ذي قيادة صينية، مع انتقاد ما تراه من إخفاقات من جانب الولايات المتحدة الأمريكية في قيادتها للنظام العالمي أو هيمنتها عليه.

ووفقاً لتوقعات تقرير "الاتجاه الجديد"، الذي اعدته "جمعية آسيا" في نيويورك مطلع عام 2024, من المرجح أن تسعي الصين بقوة إلى إقامة علاقات أكثر عمقا مع الجنوب العالمي. وهو اتجاه يمكن أن يكون له آثار عالمية حيث تواجه الولايات المتحدة والقوي الغربية الأخرى عاما سياسيا مضطربا في الداخل. فقد يدفع الجمود بين الدول الغربية والصين الأخيرة نحو جعل مشاركة الجنوب العالمي مركزا لهذه الاستراتيجية الجيو-سياسية العالمية. وهذا من شأنه أن يسمح للصين بقدر أكبر من القدرة على الوصول إلى الأسواق والموارد والشبكات السياسية في حين يعمل على تعزيز الأمن الداخلي.

وفي هذا السياق، قد يمكننا القول إن عملية "طوفان الأقصىلله جاءت لتمنح الصين فرصة ذهبية لإظهار التباين عن الموقف الأمريكي. وتحاول الصين توظيف سياسة "الحياد

المناهض للغرب" لجذب قاعدة دعم ذات كثافة سكانية عالية وأهمية استراتيجية. فالعديد من دول الجنوب العالمي متعاطفة مع فلسطين. وبالتالي، فإن دعوة الصين المتكررة لعقد "مؤتمر للسلام" هي قضية تمكنها من حشد الدعم لقيادتها لدول الجنوب. ومن خلال التأكيد على موقفها المحايد ودورها كصوت للجنوب العالمي.

وهو ما أكدته مجلة"foreign Affairs" الأمريكية، حيث ذكرت أن تحركات الصين وتفاعلها مع مجريات الحرب على غزة، ساعدتها على تعزيز مكانتها ونفوذها لدي دول الجنوب ومنطقة الشرق الأوسط تحديدا. فمواقف بكين تنسجم مع توجهات دول الجنوب العالمي، وباتت تكتسب المزيد من التأييد من جانب دول الجنوب العالمي التي صارت ترحب بالتجارة والاستثمار والمساعدات الاقتصادية الصينية، وتحرص على الانضمام للمنظمات والتجمعات الاقتصادية الدولية التي تقودها بكين كمجموعة "البريكس" ومنظمة "شنغهاى للتعاون".

وفي نوفمبر 2023، عقدت مجموعة "بريكس" اجتماعاً، خُصص لمناقشة الحرب على غزة، خلص إلى إصدار بيان دعا إلى "هدنة إنسانية فورية" تفضي إلى وقف إطلاق النار وحماية المدنيين، وتوفير المساعدات الإنسانية في قطاع غزة. وخلال القمة الافتراضية الطارئة التي استضافتها مدينة جوهانسبرغ، بجنوب أفريقيا، للدول الخمس الأعضاء في "بريكس" (البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب أفريقيا)، دعا القادة "أطراف النزاع إلى التهدئة ووقف إطلاق النار وإطلاق سراح الأسرى والمحتجزين".

لكن حتى في "بريكس" والتي تعد تكتل بالغ الأهمية لديه آفاق واسعة للتطور مع انضمام بلدان عديدة بينها عدد من البلدان العربية، برز أيضاً خلال النقاشات تباين واسع وهوة كبيرة في مواقف الأطراف بين بلدان المجموعة اكتفت بعبارات الدعوة إلى تهدئة، وبعضها رفعت سقف المطالب بشكل كبير لدرجة الدعوة إلى عرض الملف على محكمة الجنايات الدولية، كما ظهر في مواقف جنوب أفريقيا. وهذه الدعوة لم تظهر في البيان الختامي المشترك، مثل مواقف عديدة أخرى ظلت تعبر فقط عن أصحابها. أيضاً، رغم كل ما سبق، أكد القادة بشكل جماعي أن دول المجموعة قادرة على "أداء دور أساسي" على هذا الصعيد، ودعا بعضهم إلى "عقد مؤتمر دولي للسلام" يتيح "العمل على إيجاد حل شامل وعادل ودائم للقضية الفلسطينية".

3- أهمية منطقة الشرق الأوسط في مبادرة لله الحزام والطريق":

تتعامل بكين مع الملف انطلاقاً من أولوياتها السياسية، وبالأخص، خططها الاستراتيجية في إطار مبادرة لله الحزام والطريق لله. وتتزايد أهمية بلدان الشرق الأوسط بوصفها أطرافاً

مؤثرة في هذه المبادرة التي تشّكل حجر الزاوية في سياسة الصين الخارجية والاقتصادية، ورغم ذلك كله، فضّلت الصين الاكتفاء بإطلاق دعوات للتهدئة، وفي أحسن الحالات فهي تحدثت عن احتمال الدعوة إلى مؤتمر دولي لتسوية الوضع في الشرق الأوسط، في مرحلة ما بعد انتهاء حرب غزة.

وتتمتع منطقة الشرق الأوسط بأهمية بالغة لدي الصين؛ ففضلا عن أنها تشكل المصدر الرئيسي لإمدادات الطاقة، حيث تستورد ما يقرب من 60% من إمدادات الطاقة وتحتاج إلى الاطمئنان لوجود ترتيبات أمنية تحول دون تهديد شبكات النفط والغاز الطبيعي.

وتحتضن المنطقة أكبر أعمال شركات المقاولات والاستثمارات الصينية في الخارج، حيث تحتل مكانة جيو- استراتيجية بالغة الأهمية، فضلا عن كون المنطقة شريك رئيسي للصين في مبادرتها الطموحة المعروفة بمبادرة "الحزام والطريق", والتي تعول عليها بكين كثيرا في إعادة صياغة مفاهيم العلاقات الدولية، سواء على المستوي السياسي أو الاقتصادي أو الأمني.

ويبدو أن بكين في إطار سعيها لتعزيز هذا النفوذ ستظل تسعي للعب دور الوسيط لإحلال الاستقرار بشكل خاص في الشرق الأوسط لما لها من وجود اقتصادي قوى في كثير من دول المنطقة، ولا يقتصر التعاون في مجال الطاقة على كونه عاملا أساسيا في العلاقات الاقتصادية الصينية- الشرق أوسطية، ولكنه يعتبر أيضا عاملا في العلاقات الثلاثية بين الولايات المتحدة والصين ودول المنطقة.

4- تداعيات حرب غزة على قضية تايوان:

تأمل بكين أن تجد في دعمها للقضية الفلسطينية، فائدة لحشد الدعم للمواقف الصينية بشأن القضايا الأساسية مثل إقليم شنجيانج (تركستان الشرقية المسلمة) وتايوان. ودعم رؤيتها للحوكمة العالمية، المنصوص عليها في مبادرة التنمية العالمية، ومبادرة الأمن العالمي، وغيرها من المبادرات الصينية لنظام عالمي جديد متعدد القطبية.

ويعتقد الخبراء أنه كلما زادت المسارح الإستراتيجية غير الشرق آسيوية التي تتطلب اهتمام واشنطن، كسبت الصين المزيد من الوقت لتأكيد هيمنتها الإستراتيجية في منطقة المحيطين الهندي والهادي. ومما يتيح أطلاق يدها في ملف "تايوان".

وعلى الجانب الآخر، وفي تطور بالغ الأهمية رأت تايوان في الحرب فرصة للتعلم من استراتيجيات إسرائيل الدفاعية وتعزيز العلاقات الثنائية. وبعد وقت قصير من عملية" طوفان الأقصى"، أنشأت وزارة الدفاع التايوانية لجنة لدراسة الدروس المحتملة التي يمكن

أن تتعلمها من تلك الأحداث، وحاولت تايوان إظهار أنها شريك موثوق به لإسرائيل.

وكانت رغبة تايوان في تحسين العلاقات مع إسرائيل قد بدأت قبل فترة طويلة من عملية "طوفان الأقصى"، ونمت التجارة الثنائية بين البلدين بشكل مطرد في السنوات الأخيرة، حيث ارتفعت إلى أكثر من3.2 مليار دولار أمريكي في عام 2022 من2.4 مليار دولار أمريكي في العام السابق، ولكن خلافا للموقف الرسمي لتايوان الساعي باتجاه تعزيز التعاون مع إسرائيل، فإن الرأي العام يتبنى موقفا معاكسا تماما.

الخاتمة:

تعد الصين ثاني أكبر قوة اقتصادية في العالم، كما انها صاحبة ثالث أقوي جيش عالميا، وقد كان لها العديد من المبادرات التي تؤهلها لتكون لاعبا اساسيا وشريكا في القيادة العالمية، فبكين مؤهلة بدرجة كبيرة للعب دور الوساطة في الحرب الدائرة بغزة بالرغم من وجود بعض الجوانب التي قد تضع قيود على تلك المهمة، حيث تتمتع الصين بعلاقات جيدة للغاية مع مختلف الأطراف؛ وتربطها اليوم بإسرائيل علاقة اقتصادية قوية؛ إذ تعد الصين ثاني أكبر شريك تجاري لها، وأصبحت بكين مستثمرا رئيسيا في قطاع التكنولوجيا في إسرائيل، وفي 20 نوفمبر 2023، وقامت اللجنة الوزارية العربية والإسلامية المكلفة من القمة العربية-الإسلامية لبلورة موقف دولي لوقف الحرب في غزة، بزيارة إلى بكين كمحطة اولي في جولتها الدبلوماسية للضغط من اجل وقف إطلاق النار والسماح بإمداد الفلسطينيين بالمساعدات الإنسانية، ويشير قرار اللجنة بجعل الصين محطتها الأولي إلى النفوذ الدبلوماسي المتنامي لبكين في الشرق الأوسط.

اما بالنسبة لمستقبل الدور الصيني تجاه حرب غزة يبدو أن الصين لا ترغب في استثمار ادواتها في المرحلة الحالية، وتفضل أن تكون جزء من جهد متعدد الأطراف، فعلى الرغم من المخاوف العالمية المتزايدة بشأن هجمات الحوثيين على السفن التجارية في البحر الأحمر والمخاطر الاقتصادية للصين في المنطقة، لم تظهر بكين أي اهتمام بمعالجة الأزمة المتصاعدة بشكل مباشر بخلاف إعلان معارضتها لمضايقة السفن المدنية وانتقاد الولايات المتحدة بشكل غير مباشر، والغارات الجوية البريطانية ضد المواقع التي يسيطر عليها الحوثيون في اليمن.

ورغم رهان الغرب بأن الصين ربما تكون قادرة على الضغط علي إيران، على خلفية العلاقات الجيدة بل الوثيقة بين الطرفين من أجل تخفيف حده التوترات، حيث تعد الصين أكبر شريك تجاري لإيران، فضلا عن نجاح بكين في التوصل إلى انفراجه سياسية بين طهران والرياض، وقد ضغط مسئولون أمريكيون على الصين من أجل للّهحث إيران على التهدئة"، ولعل تعاطيها مع هذا الملف يعد كاشفا لرؤيتها لماهية دورها في المنطقة مستقبلا، فهي لم تشكل لاعبا دبلوماسيا جادا أو مؤثرا في الشرق الأوسط، وتوضح حرب غزة أيضا حدود نهج "الصداقة مع الجميع"، الذي تتبناه الصين في التعامل الدبلوماسي مع دول المنطقة.